التفاؤل والتشاؤم في الحديث النبويّ
(دراسة موضوعيّة)

أ.د أمين محمّد القضاة *

(*) قسم التفسير والحديث – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الكويت.

* هذا البحث مدعوم من إدارة الأبحاث برقم HH08-01.

ملخص البحث:

- الراجح عند علماء اللغة والغريب، أن كلمة الطيرة، وكلمة الشؤم، بمعنى واحد، وعند بعضهم أن الفأل من أنواعها، عملاً بظاهر الحديث (لا طيرة، وخيرها الفأل) وأما التطير: فهو التشاؤم.
- وردت أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم، يحضّ فيها على الفأل واليمن، بل كان عليه الصلاة والسلام يحب الفأل، ويتفاءل بالخير.
- التشاؤم منهي عنه في الإسلام، والاعتقاد به يؤدي إلى الشرك الخفي، وأما العمل بهذا الاعتقاد فهو محرم، وقد يؤدي إلى الشرك والعياذ بالله تعالى.
- إن منهج الإسلام حينما يحارب العادات الاجتماعية، ذات الآثار السلبية، التي تعود بالضرر على الفرد والمجتمع، فإنه يوجد البدائل ذات الآثار الإيجابية، التي تعود بالخير على الفرد والمجتمع.
- لقد روى عدد من الصحابة رضوان الله عليهم، أحاديث النهي عن التشاؤم، وإن رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنه – فقط – هي التي وردت بلفظ الحصر والتأكيد (إنما الشؤم في ثلاثة: الفرس، والمرأة، والدار).
- والمتأمل في الأحاديث التي وردت في التفاؤل والتشاؤم يجدها مكملة لبعضها من حيث المعنى، وليس بينها أي تعارض حقيقي كما قد يتوهم.
- وجميع هذه الأحاديث منسجمة مع مكانة المرأة في الإسلام، ودورها المهم في الحياة الإسلامية، وأن ما ورد على لسان الرسول ﷺ إنما هو بيان للواقع الجاهلي، الذي ورد النهي عنه، والابتعاد عن ممارسته، أو الاعتقاد به.
- والعلماء – مع اختلاف اجتهاداتهم –، متفقون على أنه لا ينبغي فهم الحديث على أنه ينتقص من حق المرأة. مع تعدد آرائهم في تفسير ذلك.
- وذهب جمهور العلماء إلى عدم حمل الحديث على ظاهره، ولكن ينبغي تأويل هذا الحديث، بما يتفق مع مبادىء الإسلام، وأحكامه، وبخاصة في الأمور الثلاثة المذكورة في حديث ابن عمر.
- الروايات الواردة في إنكار عائشة على أبي هريرة، هي روايات مردودة، ولم

يذكر أحد من أهل الحديث رواية منفصلة، عن أبي هريرة، وإنما الحديث – بهذا اللفظ – مروي عن ابن عمر.

- ونشير إلى أن التشاؤم على ثلاث درجات.

الأولى: هي درجة فطرية، وهي مجرد الشعور بالكره للشيء وحصول الضيق من وجوده، وهذه لا تدخل ضمن المنهي عنه.

والثانية: محرمة، وهي الاعتقاد بتأثير ذلك في حياة الإنسان.

وأما الثالثة، فهي العمل بمقتضى هذا الاعتقاد، وهي اشد تحريماً.

- ويستفاد من مجموع الأحاديث النبوية الواردة في هذا الموضوع منهج الإسلام في محاربة الظواهر السلبية، التي قد تنتشر في المجتمع، وإيجاد البدائل، وتقديم العلاج، ليبقى المجتمع سليم الاعتقاد قويم السلوك.

- كما يمكن تحديد أهم وسائل علاج هذا الداء،الذي قد لا يسلم منه إلاّ القليل، وبخاصة الدرجة الأولى منه، وأن هذا العلاج مبني على مباديء اعتقادية، كالتوكل على الله، وحسن الظن بالله تعالى، والتوجه إلى الله عز وجل بالدعاء.

- ولاشك أن ظاهرة التشاؤم مرض اجتماعي خطير، يعمل على انحراف العقيدة، وإيجاد اليأس والإحباط، وبالتالي العزوف عن العمل النافع، الذي يعود بالخير على الفرد وعلى المجتمع. وكلها أمور جاء الإسلام لمحاربتها.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

تمهيد

لا يخفى أن الإسلام قد راعى ما فطرت عليه النفس البشرية، فجاءت الأحكام والمعتقدات، وكل قضايا التشريع، منسجمة مع الفطرة السليمة، وموجهة لها الوجهة الصحيحة، بحيث تمنعها من الانحراف عن الحق، والجنوح عن الصواب، وذلك حتى تتمكن من القيام بغايتها الأساسية، ووظيفتها الأولى، التي خلقت من أجلها، وهي العبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[١]

وقد كان من عظمة الإسلام: قدرته على التوفيق بين نوازع الفطرة، وبين مقتضيات الأمر الإلهي، فكان اهتمام الإسلام بمشاعر الإنسان، وأحاسيسه التي تنتابه، ومنها: الشعور بتوقع الخير، وما يؤدي إليه من سعادة وراحة نفسية، أو الشعور بتوقع الشر، وما يؤدي إليه من شقاء وضيق نفسي، وهي مشاعر فطرية طبيعية، يحس بها الإنسان، في كل يوم، مهما كان موقعه في الحياة: الصغير والكبير، والعالم والجاهل، والغني والفقير، والذكر والأنثى...الخ.

وتكمن مشكلة البحث، في ورود طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة، التي ذكر فيها الفأل، أو ذكر فيها الشؤم، أو كلاهما معاً. فقد نهى الرسول ﷺ في بعض الأحاديث عن التشاؤم، ولكن قد يفهم من بعض الأحاديث، إقراره ﷺ بوجود ذلك، وجوازه في بعض الأمور والأحوال!! ومن هنا فقد ينشأ شيء من الخلط بين هذه المفاهيم، أو يقع التوهم بوجود تعارض بين هذه النصوص، مما قد يوقع الإنسان في حيرة من الأمر! فهل التشاؤم أمر مشروع، وله وجود في حياتنا، أم هو غير ذلك؟ وما هي مراتبه، وما هو حكمه،؟!

بل إن بعض الأحاديث قد ورد فيها التصريح بالتشاؤم من بعض الأمور، (إنما الشؤم في ثلاثة: في المرأة، والفرس، والدار.)[٢] وهذا ما جعل بعض الناس يطلقون العنان لاستنتاجاتهم التي يحاولون من خلالها تصوير الإسلام

---

(١) سورة الذاريات – الآية ٥٦.

(٢) رواه البخاري – كتاب الطب – رقم ٥٧٥٣.

بأنه ينظر إلى المرأة نظرة متشائمة!! وأنه قد ساوى بينها وبين الفرس والدار في ذلك.

وكذلك فإن بعض الناس يعتقد أن التشاؤم أمر جائز، وأن الإسلام أقر بوجوده، حتى أصبح هذا المعتقد جزءاً من سلوكهم، بل أصبحت هذه الظاهرة مرضاً اجتماعياً، له آثاره السلبية التي تنعكس على الفرد وعلى المجتمع، لا سيّما بين بيئات العوام، أو غير المسلمين.

وللعلماء جهود طيبة في بيان المقصود من هذه الأحاديث، ولهم اجتهادات من أجل تأويلها، أو التوفيق بينها، وفق قواعد منضبطة، وضعوها لدرء التعارض بين النصوص الشرعية، معروفة عندهم، ليس هذا موضع ذكرها. ولكنها جهود متناثرة مبعثرة، نجدها غالباً في كتب الشروح.

فجاء هذا البحث، ليتناول هذا الموضوع بمنهجية، أرجو أن تكون جديدة، بحيث تقوم على جمع الأحاديث الواردة في هذا الباب،ثم تصنيفها، ثم محاولة درء التعارض بينها، وفق المتعارف عليه عند أهل هذا الفن.

وبعد ذلك محاولة الوصول إلى تفسير علمي لحقيقة هذين المفهومين (التفاؤل، والتشاؤم) وذلك من خلال التعرّف على آراء العلماء، وتصنيفها، ثم تقسيمها إلى مذاهب، واستطلاع تفسيرهم لهذا الأمر،ثم بيان حكمه في الإسلام وفق مراتب ودرجات التشاؤم، وأخيراً تقديم دراسة تبين منهج الإسلام في علاج التشاؤم، وعلاج آثاره السلبية التي تنعكس على الفرد والمجتمع.

وآمل أن تكتمل – بعد ذلك – صورة هذا الموضوع في ذهن القاريء، وفق التصور الإسلامي الصحيح له، بما لا يدع مجالاً للتوهم، والظن، والاتهام. وسأتناول هذا الموضوع، بهذه المنهجية – إن شاء الله – من خلال المباحث الآتية:

- المبحث الأول: تحديد مفهوم الفأل ومفهوم الشؤم، وعلاقة ذلك بمفهوم الطيرة.
- المبحث الثاني: الأحاديث الواردة في الشؤم والطيرة، والنهي عن ذلك.

- المبحث الثالث: الأحاديث الواردة في جواز التفاؤل، والأمر به.
- المبحث الرابع: دراسة هذه الأحاديث، من خلال التأصيل العلمي لدرء التعارض، عند علماء الحديث، وتحرير محل البحث.
- المبحث الخامس: بيان حكم التشاؤم ﴿وهو التطيّر﴾، وعلاقة ذلك بالاعتقاد.
- المبحث السادس: كيف نحارب التشاؤم، ونعالج آثاره. عند الفرد، وفي المجتمع.
- الخاتمة : وفيها أهم النتائج التي وصلت إليها في هذا البحث.

أسأل الله السداد في القول والرأي

المبحث الأول
تحديد مفهوم التفاؤل ومفهوم التشاؤم
وعلاقة ذلك بالطيرة

لابد بين يدي هذا البحث، من تحديد دقيق لمفهوم هذه المصطلحات، وبيان معناها اللغوي، وذلك من خلال استعمالات العرب لها، كما ورد في قواميس اللغة العربية أولاً، وثانياً من خلال معاني هذه الألفاظ ومدلولاتها الواردة في الأحاديث النبوية، كما بينها علماء الحديث، في كتب الغريب والشروح.

أولاً: معنى التفاؤل:

آ) عند أهل اللغة: ورد في لسان العرب قوله:(٣) (الفَأْل ضد الطِّيَرة، والجمع فُؤُول. قال الجوهري: الجمع أَفْؤُل، وتفاءلتُ به، وتفأّل به. والفأل فيما يحسن ويسوء، بخلاف الطيرة، تكون فيما يكره. ونقل عن أبي منصور قوله: من العرب من يجعل الفأل فيما يكره. وفي نوادر الأعراب: (لا فأل عليك)، أي لا ضَيْرَعليك، ولا طير عليك، ولا شر عليك.

وورد في محيط المحيط قوله:(٤) (التفاؤل مصدرها "فأل" ويقال: تفأّل به تفؤّلاً، وتفاءل تفاؤلاً، وافتأل افتئالاً.. ضد تطير. والفأل ضد الطيرة. والفأل قول أو فعل يستبشر به. وقد تُسهَّل، فيقال: الفال) أي بالألف من دون الهمزة.

ب) عند أهل الغريب والحديث: قال القرطبي: (الفأل: أن يسمع الإنسان قولاً حسناً، أو يرى شيئاً يستحسنه، يرجو منه أن يحصل له غرضه الذي قصد تحصيله(٥)). وقال ابن حجر:(٦) (.والفأل فيه حسن ظن بما ستؤول إليه

---

(٣) ابن منظور – لسان العرب – ١٠/١٦٨.
(٤) بطرس البستاني – محيط المحيط – ص٦٧٥.
(٥) القرطبي – المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم – ٥/ ٦٢٧
(٦) ابن حجر – فتح الباري – ١٠/٢١٤.

الأمور من نتائج، وفيه حسن ظن بالله تعالى، بأنه سيوفق الإنسان في عمله..)

ونلاحظ – هنا – أن الفأل، قد تستعمل فيما يكره ويسوء – كما قال الجوهري، وأبو منصور – ولكن يبدو أن هذا نادر الاستعمال. فمن أفضل وأوضح ما جاء في تفسير معنى كلمة (الفأل)، هو ما ورد على لسان الرسول ﷺ قوله:(٧) (لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل: الكلمة الحسنة، الكلمة الطيبة).

ثانياً: معنى التشاؤم:

آ) عند أهل اللغة: ورد في القاموس:(٨) (الشؤم: هو الشر، وتشاءم: تطيّر، وتشاءم به: عدّه شؤماً، والمتشائم: المتطيّر، وهو من يسيء الظن بالحياة. والشؤم ضد اليمن، والشائم: هو الذي يجر الشؤم، ويقال: تشاءم تشؤّما، وتشاءم القوم، أي اتجهوا جهة اليسار). قال ابن منظور: الشؤم: خلاف اليمن والواو فيها بهمزة، ولكنها خففت فصارت واواً، وغلب عليها التخفيف، حتى لم ينطق بها مهموزة.

ب) عند أهل الغريب والحديث: قال ابن حجر:(٩) (الطيرة والشؤم بمعنى واحد...) وعندما جاء الشرع، اختص الطيرة بما يسوء، والفأل بما يسر، وإن كان سابقاً يقصد به ما يسر، وما يسوء). وقد ذكر ابن حجر أيضاً:(١٠) (.. أن الرجل في الجاهلية، إذا رأى الطير يطير يمنة، تيمّن به واستمرّ، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع..) وقال أيضاً:(١١) (الشؤم فيه سوء ظن بمآل الأمور ونتائجها، ففيه سوء ظن بالله تعالى).

---

(٧) البخاري – كتاب الطب – باب الطيرة – رقم الحديث ٥٧٥٦. ومسلم – كتاب السلام – باب الطيرة والفأل – رقم الحديث ٥٧٦١.

(٨) انظر: المعجم الوسيط –١/٤٦٩، ومحيط المحيط –ص٤٤٧. وابن منظور – لسان العرب – ١٢/٣١٤-٣١٥.

(٩) ابن حجر – فتح الباري – ٦/٧٦،١٠/٢٦٥.

(١٠) المرجع السابق نفسه – ١٠/٢١٤.

(١١) المرجع السابق نفسه – ٩/١٧٣.

وهكذا فإننا نرى أن لكل شيء صورتين، صورة فيها الخير، وأخرى فيها السوء، فإن رأى الإنسان ذلك الشيء بصورته الأولى أحدث في نفسه الفرح والسرور من ذلك الشيء، وسمي عندئذ تفاؤلاً. وإن رآه بالصورة الثانية فإنه يحدث في نفسه شيئاً من الضيق والضجر من ذلك الشيء، بل قد يولد عنده الكره له، فإن حصل ذلك في النفس وشعر به الإنسان سمي تشاؤماً.

ثالثاً: معنى التطيّر:

آ - التطيّر عند أهل اللغة: جاء في لسان العرب قوله:[١٢] (الطيرة ضد التفاؤل، وهي فيما يكره ويسوء، والطائر: ما تيمنت به، أوتشاءمت منه، وأصله في ذي الجناح، وقالوا للشيء يتطير به الإنسان: طائر الله لا طائرك. وهو المصدر من الطائر.

وجاء في المعجم الوسيط:[١٣] (تطيّر بالشيء: تفاءل، ومنه تشاءم، وأصله التفاؤل بالطير، ثم استعمل في كل ما يتفاءل به، ويتشاءم منه).

ونلاحظ هنا، أن ابن منظور عدّ التطير في ما يكره فقط. في حين عدّه أصحاب المعجم الوسيط، شاملاً للتفاؤل والتشاوم، ولعلّ الرأي الثاني مأخوذ من ظاهر حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:[١٤] (لا طيرة، وخيرها الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة، يسمعها أحدكم.. وفي رواية: أحسنها الفأل، ولا يرد مسلماً.. وفي رواية أخرى: أصدق الطيرة الفأل).

فظاهر الحديث أن الفأل من أنواع الطيرة. وقال بعضهم، هذه الإضافة لا تشعر بذلك، قال الكرماني[١٥]: (فإن قلتَ: إضافة الخير إلى الطيرة مشعرة بأن

---

(١٢) ابن منظور - لسان العرب - ٨/ ٢٣٩.
(١٣) المعجم الوسيط - ٢/ ٥٨٠.
(١٤) أخرجه البخاري - الجامع الصحيح - كتاب الطب - باب الطيرة - رقم٥٧٥٤، وباب الفأل رقم ٥٧٥٥، ومسلم - كتاب الطب - باب الطيرة والفأل - رقم٥٧٥٩، وأبو داود - كتاب الطب - باب الطيرة - رقم ٣٩١٩.
(١٥) الكرماني في شرح البخاري - ١١/ ٣٢، وهو رأي ابن حجر أيضاً - فتح الباري - ١٠/ ٢٢٤.

الفأل من جملة الطيرة، قلتُ: الإضافة لمجرد التوضيح، فلا يلزم أن يكـون منها).

ب – التطير عند أهل الغريب والحديث: قال ابن الأثير:[١٦] (الطيرة – كسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن وهي: التشاؤم بالشيء، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع، وأبطله، ونهى عنه). وقال القرطبي:[١٧] (هي أن يسمع الإنسان قولاً، أو يرى أمراً، فيخاف منه أن لا يحصل له غرضه الذي قصد تحصيله). ا.هـ.

وقال الزمخشري[١٨]: (الفأل والطيرة قد جاءا في الخير والشر، واستعمال الفأل في الخير أكثر، واستعمال الطيرة في الشر أوسع..)

وأصل التطير جاء من استخدام الطير عند العرب، في توقع الخير أو الشر، فكان أحدهم إذا أراد أن يخرج لأمر ما، أو يسافر لقضاء حاجة له، كان يهيج الطير، فإن طار من جهة الشمال إلى جهة اليمين، فإنهم يطلقون عليه السانح، وهذا يتيمنون به. وإن طار من جهة اليمين إلى جهة اليسار، يسمى عندهم البارح، وهذا يتشاءمون به.[١٩]

ويبدو – من خلال استعمالات لفظة التطير، في الحديث، وفي اللغة – أن أكثر ما تكون في ما يكره، ولا يسر. ومن هنا جاءت في القرآن الكريم، بهذا المعنى، وذلك في قوله تعالى:[٢٠] ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ .....﴾.

---

(١٦) ابن الأثير – النهاية في غريب الحديث والأثر – ٣/٤٠٥.
(١٧) القرطبي المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم – ٥/٦٢٧.
(١٨) الزمخشري – الفائق في غريب الحديث – ٣/٨٦ مادة فأل. ومعنى قوله: بمعنى الجنس: أي كل ما كان من جنس الطيرة.
(١٩) ابن حجر – فتح الباري – كتاب الطب – باب الطيرة – ١٠/٢٢٣.
(٢٠) سورة يس – الآية ١٨.

قال الزمخشري[٢١]: (تطيّرنا بكم: تشاءمنا بكم، وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم، ويتشاءمون بما نفروا عنه وكرهوه، فإن أصابهم نعمة أو بلاء قالوا: ببركة هذا وبشؤم هذا، وطائركم معكم، أي: سبب شؤمكم معكم).

رابعاً: ما ورد من ألفاظ أخرى قريبة المعنى:

وردت في بعض الأحاديث، ألفاظ أخرى ذات معنى قريب من ألفاظ التفاؤل والتشاؤم، وهذه الألفاظ هي: اليمن، العيافة، والطرق:

اليُمن:

ومعناه عند أهل اللغة: يقال: فلان تيمّن تيمُّناً، أي ذهب ذات اليمين، وتيمّن الرجل بالشيء تيَمُّناً، أي تبرّك به، وهي ضد تشاءم[٢٢].

وعند أهل الغريب[٢٣]: هو الفأل الحسن، وهو توقع حصول الخير، والاعتقاد بأن الله هو سبب الخير، وفي ذلك حسن ظنٍّ بالله تعالى.

أخرج الترمذي[٢٤] بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى اللهم عليه وسلم: (يمن الخيل في الشقر) قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.

وأخرج الترمذي[٢٥] أيضاً بسنده عن حكيم بن معاوية قال سمعت النبي صلى اللهم عليه وسلم يقول لا شؤم، وقد يكون اليمن في الدار والمرأة والفرس.

---

(٢١) الزمخشري – الكشاف – ٤/٩.

(٢٢) معجم المحيط – ص٩٩٣.

(٢٣) ابن حجر ت فتح الباري – كتاب التوحيد – باب قوله تعالى (ويحذركم الله نفسه...) –٧٤٠٥.

(٢٤) جامع الترمذي – كتاب الجهاد – رقم ١٦١٨. وابو داود – كتاب الجهاد – رقم ٢١٨٢. ومسند الإمام أحمد – مسند بني هاشم – رقم ٢٣٢٦.

(٢٥) جامع الترمذي – كتاب الأدب – رقم٢٧٥٠. ابن ماجه – السنن – كتاب النكاح – رقم ١٩٨٣قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرج أبو داود[٢٦] بسنده: عَنْ رَافِعِ بْنِ مَكِيثٍ وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَةَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ النَّبِيَّ قال: (حُسْنُ الْمَلَكَةِ يُمْنٌ، وَسُوءُ الْخُلُقِ شُؤْمٌ).

وأخرج الإمام أحمد[٢٧] بسنده: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يُمْنُ الْمَرْأَةِ تَيْسِيرُ خِطْبَتِهَا، وَتَيْسِيرُ صَدَاقِهَا.

العيافة والطرق:

ومعناه عند أهل اللغة: العيافة[٢٨] هي زجر الطير، وهو أن يرى غراباً فيتطيّر به، ويبدو أنه مأخوذ من عاف الشيء إذا كرهه، فمن يتطير يكره الشيء. وأما الطرق: فهو النظر في النجوم، يقال طرق النجم أي انتظر طلوعة.

وأما عند أهل الغريب: فقد جاء تفسيرهم لهاتين الكلمتين، شرحاً للحديث التالي، عند أبي داود.

أخرج أبو داود[٢٩] عن قَبِيصَةَ بن المخارق، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْعِيَافَةُ وَالطِّيَرَةُ وَالطَّرْقُ مِنَ الْجِبْتِ، الطَّرْقُ: الزَّجْرُ، وَالْعِيَافَةُ الْخَطّ.

والخلاصة، فإن بين هذه الألفاظ الثلاثة (التفاؤل، التشاؤم، التطير) قاسماً مشتركاً واحداً، وهو أنها جميعها تعبّر عن مشاعر الإنسان، تجاه القضايا التي

---

(٢٦) سنن أبي داود – كتاب الأدب – رقم ٤٤٩٤، ورقم ٤٤٩٥. وإسناده حسن.

(٢٧) المسند – مسند الأنصار – رقم ٢٣٤٦٦ورقم ٢٣٣٣٨. قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢٨) القاموس المحيط – مادة: عاف، ومادة: طرق.

(٢٩) سنن أبي داود – كتاب الطب – باب – رقم ٣٤٠٨. وأخرجه أحمد في مسنده – مسند المكيين –رقم ١٥٣٥٠، ومسند البصريين – رقم ١٩٦٩٣. وقد ورد في رواية عند أحمد معنى العيافة والطرق (قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط، يخط في الأرض، والجبت: قال الحسن: إنه الشيطان – رقم ١٩٦٩٤. رمز له السيوطي ب: ض.

تواجهه في حياته اليومية، وتعبر كذلك عن انعكاس تلك المشاعر على عمله وسلوكه، بل تتعلق بنظرته إلى كثير من القضايا، والأحداث، والظواهر التي حوله.

وهذا الشعور، إما أن يكون شعوراً بتوقّع الخير الذي يؤدّي إلى الرضا والفرح والسرور.. ثم السعادة، وما ينعكس عنه من أثر إيجابي، على كسب الإنسان، وعلى عمله، وتوجهه نحو فعل الخير، وتحسين أساليب ذلك الفعل، وتطويره نحو الأفضل، وتكوّن الحافز عنده، بحيث يدفعه – أيضاً – إلى البحث عن وسائل عمل الخير، والرغبة في فعله، والاستزادة منه.. هذا الشعور – بهذا المعنى – هو الذي يمكن أن نطلق عليه اسم (**التفاؤل، أو اليمن**).

وإما أن يكون هذا الشعور شعوراً بتوقّع الشر الذي يؤدّي إلى عدم الرضى، والشعور بالحزن، والكره، والغضب.. ثم ما ينتج عنه من انقباض النفس، والشعور بالإحباط واليأس. وما ينعكس عن ذلك من أثر سلبي على كسب الإنسان، وعلى عمله، وعدم التوجه نحو فعل الخير، وانعدام الرغبة في ذلك، بل الرغبة في عدم الفعل، ثم أخيراً الاستسلام لحالة الإحباط واليأس. وهذا الشعور – بهذا المعنى – هو الذي يمكن أن نطلق عليه وصف (**التشاؤم، أو الشؤم، أو التطير**). وهذا المعنى، أشار إليه الطيبي – فيما نقله عنه ابن حجر – فقال:[٣٠] (والقدر المشترك بين الطيرة والفأل: هو تأثير كل منهما بما هو فيه).

ويمكن أن نفهم معنى الحديث النبوي، بوجه آخر، وندرك مقصده وهديه عليه الصلاة والسلام، من قوله:[٣١] (**حسن الخلق يمن، وسوء الخلق شؤم**).. وهو: أن اليمن – وهو التفاؤل – يؤدي إلى حسن الخلق، وهو عمل الخير، والتوجه نحو فعله، وأما الشؤم: فإنه يؤدي إلى سوء الخلق، وهو عدم فعل الخير، وعدم التوجه نحو فعله. بل التوجه والرغبة في عدم فعل الخير.

---

(٣٠) انظر ابن حجر – فتح الباري – ١٠/ ٢١٥.
(٣١) أبو داود – السنن – كتاب الطب – باب الطيرة –٤/ ٢٣٦. حسنه السيوطي.

وبعبارة أخرى، أستطيع القول: إن التفاؤل، أو اليمن يؤدي بصاحبه، إلى حسن الخلق، بينما الشؤم يؤدي به إلى سوء الخلق.. فحسن الخلق، هو نتيجة طبيعية، لوجود اليمن عند الإنسان، والإحساس به. وسوء الخلق، هو – أيضاً – نتيجة طبيعية لوجود الشؤم عنده، والإحساس به.

أما الطيرة: فالأرجح أنها شاملة لهذين الأمرين (التفاؤل والتشاؤم). بدليل قول الرسول ﷺ (لا طيرة، وخيرها الفأل. قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة، يسمعها أحدكم).(٣٢) فالطيرة شاملة للأمرين (التفاؤل والتشاؤم) وقد نهى الرسول ﷺ عن الأول، وهو التشاؤم. وأمر بالثاني، وهو التفاؤل.

---

(٣٢) أخرجه البخاري – كتاب الطب – باب الطيرة –٥٧٥٤.

المبحث الثاني
الأحاديث التي ورد فيها لفظ التفاؤل

وردت هذه الكلمة (**التفاؤل**)، أو أحد مشتقاتها، عن خمسة من الصحابة رضوان الله عليهم، قد سمعوا ذلك من الرسول ﷺ، ووردت رواياتهم - هذه - بطرق متعددة صحيحة، في الصحيحين، وغيرهما، حتى بلغ عدد هذه الروايات، ستاً وأربعين رواية، ولكن معظمها متشابه من حيث المتن، ولذلك سأقتصر على رواية واحدة من كل متن، لكل صحابي، مشيراً إلى الطرق الأخرى، إلا إذا كان في الطريق الأخرى زيادة، أو معنى جديداً. ووردت رواية مرسلة عند أبي داود، أرسلها التابعي **عروة بن عامر**، وسأذكر هذه الرواية؛ لاشتمالها على زيادات هامة في المتن، وسأعرض هذه الأحاديث بحسب رواتها من الصحابة رضي الله عنهم، وهي كالتالي:

أولاً: روايات أبي هريرة رضي الله عنه:

قال البخاري: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُاللَّهِ بْنُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لا طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ، قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ، يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ(٣٣).

وقال مسلم: وحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنِي مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُخْتَارٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَتِيقٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا عَدْوَى، وَلا طِيَرَةَ، وَأُحِبُّ الْفَأْلَ الصَّالِحَ(٣٤).

---

(٣٣) البخاري - كتاب الطب - باب الطيرة - رقم٥٧٥٤. وباب الفأل -رقم٥٧٥٥.

(٣٤) مسلم - كتاب السلام - باب الطيرة والفأل وما يكون فيها من الشؤم - رقم٤١٢٥. وأبو داود - كتاب الطب - باب الطيرة- رقم٣٩١٩. وأحمد في المسند - باقي مسند المكثرين - رقم٨٨٩٤. ومواضع أخرى.. قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح.

ثانياً: روايات أنس بن مالك رضي الله عنه:

قال البخاري: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ رَضِي اللَّهم عَنْهم عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ، الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ[٣٥].

وقال أيضاً: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِي اللَّه عَنْهم عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَاعَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ. قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ[٣٦].

قال الترمذي: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ هِشَامٍ الدَّسْتُوَائِيِّ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قَالَ: لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَأُحِبُّ الْفَأْلَ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ) قَالَ أَبو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[٣٧].

ثالثاً: روايات ابن عباس رضي الله عنه:

قال الإمام أحمد في مسنده: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ عَبْد اللَّهِ بْن أَحْمَد وَسَمِعْتُهُ أَنَا مِنْهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَفَاءَلُ، وَلَا يَتَطَيَّرُ، وَيُعْجِبُهُ الِاسْمُ الْحَسَنُ[٣٨].

وقال: حَدَّثَنَا هَاشِمٌ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ - يَعْنِي شَيْبَانَ - عَنْ لَيْثٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَفَاءَلُ، وَلَا يَتَطَيَّرُ، وَيُعْجِبُهُ كُلُّ اسْمٍ حَسَنٍ[٣٩].

---

(٣٥) البخاري - كتاب الطب - باب الطيرة - رقم٥٧٥٦.
(٣٦) البخاري - كتاب الطب - باب الطيرة - رقم٥٧٧٦.
(٣٧) الترمذي - أبواب السير - باب ما جاء في الطيرة - رقم ١٥٤٠. قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح.
(٣٨) المسند - مسند الشاميين - رقم٢٢١٣، ٢٦٣٠، ومواضع أخرى بهذا اللفظ.
(٣٩) المسند - مسند الشاميين - رقم ٢٧٧٦. حسنه الشيخ أحمد شاكر.

رابعاً: رواية عائشة رضي الله عنها:

قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا عَفَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا الْكِرْمَانِيُّ حَسَّانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَسْرُوقٍ عَنْ يُوسُفَ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ ابْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: يَا أُمَّتَاهُ، حَدِّثِينِي شَيْئًا سَمِعْتِيهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الطَّيْرُ تَجْرِي بِقَدَرٍ، وَكَانَ يُعْجِبُهُ الْفَأْلُ الْحَسَنُ)(٤٠).

خامساً: رواية حابس التميمي رضي الله عنه

أخرج الإمام أحمد في مسنده قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ عَنْ يَحْيَى - يَعْنِي ابْنَ أَبِي كَثِيرٍ - قَالَ: حَدَّثَنِي حَيَّةُ التَّمِيمِيُّ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا شَيْءَ فِي الْهَامِ، وَالْعَيْنُ حَقٌّ، وَأَصْدَقُ الطِّيَرِ الْفَأْلُ(٤١).

سادساً: رواية عروة بن عامر.(وهي رواية مرسلة)

قال أبو داود: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ شَيْبَةَ الْمَعْنَى قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ أَحمدُ الْقُرَشِيُّ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»(٤٢).

---

(٤٠) المسند - باقي مسند الأنصار، وقد رواه أبو بردة عن عائشة رضي الله عنها - رقم٢٣٨٢٤.

(٤١) المسند - مسند المدنيين -رقم١٦٠٣٢. ومسند البصريين - رقم١٩٧٥٨. ورقم١٩٧٥٩وصرح بهذه الرواية باسم والد حيّة التميمي، وهو حابس رضي الله عنه. ورقم ١٩٧٦٠، وفي هذه الرواية يرويه حابس عن أبي هريرة رضي الله عنه. والهام: هو ماكانت العرب تعتقده أن روح القتيل تخرج فيصير همة (أي طيراً) إذا لم يؤخذ بثأره، يصيح فوق قبره: اسقوني اسقوني - المحيط:مادة هيم.

(٤٢) أبو داود - كتاب الطب - باب الطيرة - رقم ٣٤١٨. وعروة هو: ابن عامر القرشي. قال المزّي: روى عن الرسول ﷺ في الطيرة مرسلاً. انظر: تهذيب الكمال -٢٠/٢٦. ترجمة رقم ٦٩٠٨. وقال ابن حجر (التقريب ٧/١٨٥): أثبت غير واحد أن له =

وبعد استعراض هذه الأحاديث التي وردت فيها كلمة (التفاؤل) أو أحد مشتقاتها، عن هؤلاء الخمسة من الصحابة رضوان الله عليهم، وأكثرها روايات متقاربة أو متشابهة من حيث المتن، فقد أظهرت لنا هذه الأحاديث، أن الرسول ﷺ - في الوقت الذي نهى فيه عن التطير، أو التشاؤم، - قد جعل مقابل ذلك التفاؤل، بل هو من صفاته، وسننه عليه الصلاة والسلام، كما جاء في رواية ابن عباس السابقة: (كان رسول الله ﷺ يتفاءل، ولا يتطير.)..

ومن هنا يتضح لنا الهدى النبوي في التعامل مع هذه القضايا، فالتفاؤل هو أمر محمود في نظر الإسلام، وقد ذكر عنه ﷺ أن التفاؤل يمكن أن يكون بكلمة طيبة، أو كلمة حسنة، وكان عليه الصلاة والسلام يعجبه الاسم الحسن! ومن ذلك: ما أخرجه الترمذي في جامعه، بسنده عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان يعجبه إذا خرج لحاجته أن يسمع يا راشد، يا نجيح. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، غريب، صحيح[٤٣].

والهدي النبوي في هذا متوافق مع الفطرة البشرية، يقول ابن قتيبة الدينوري في هذا الصدد:[٤٤] (.. وهذا أيضاً مما جعل في غرائز الناس استحبابه والأنس به، كما جعل على ألسنتهم من التحية بالسلام، والمد في الأمنية، والتبشير بالخير، وكما يقال: انعم واسلم، وأنعم صباحاً، وكما تقول الفرس: عِشْ ألف نيروز. والسامع لهذا يعلم انه لا يقدم ولا يؤخر، ولا يزيد ولا ينقص، ولكن جعل الله في الطباع محبة الخير، والارتياح للبشرى، والمنظر الأنيق، والوجه الحسن، والاسم الخفيف، وقد يمر الرجل بالروضة المنوِّرة فتسرّه وهي لا تنفعه، وبالماء الصافي فيعجب به وهو لا يشرب ولا يورده..).

= صحبة، وشكّ فيه بعضهم.. وقال في التقريب: مختلف في صحبته. وقال ابن معين في تاريخه (٢/٤٠١): عروة هذا ليس له صحبة. والذي أرجحه أن هذه رواية مرسلة - كما صرح بذلك بعض العلماء - والله تعالى أعلم.

(٤٣) جامع الترمذي - أبواب السير - باب ما جاء في الطيرة - رقم ١٥٣٩. قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح.

(٤٤) ابن قتيبة - تأويل مختلف الحديث - ص٧١.

المبحث الثالث
الروايات التي ورد فيها التشاؤم لفظاً أو معنى

وردت كلمة التشاؤم، أو أحد مشتقاتها، أو بمعناها، في عدد من الأحاديث النبوية، عن سبعة من الصحابة رضوان الله عليهم، وسأذكر هذه الأحاديث مرتبة بحسب رواتها من الصحابة، مكتفياً برواية واحدة لكل متن من المتون، حيث بلغت حوالي مائتي موضع، والإشارة إلى بعض الروايات الأخرى في مصادرها، إلاّ إذا كان في المتن الآخر زيادات في الألفاظ، ومعان جديدة:

أولاً: رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنه:

أخرج البخاري في صحيحه قال: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ أَنَّ عَبْدَاللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِي اللَّه عَنْهمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي الْفَرَسِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالدَّارِ».(٤٥) وهذه الرواية وردت بأصح الأسانيد(٤٦).

ثانياً: رواية أنس بن مالك رضي الله عنه:

أخرج أبو داود وغيره عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: إنّا كناّ في

(٤٥) صحيح البخاري – كتاب الجهاد – باب ما يذكر من شؤم الفرس – رقم ٢٨٥٨، وكتاب النكاح – باب ما يتقى من شؤم المرأة – رقم ٥٠٩٣، ٥٠٩٤، وكتاب الطب – باب الطيرة – رقم ٥٧٥٣. وأخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الطب – باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم – رقم ٥٧٦٥، ٥٧٧٠. والترمذي في جامعه – كتاب الأدب – باب ما جاء من الشؤم – رقم٢٨٢٤. وأبو داود – كتاب الطب – باب الطيرة – رقم ٣٩٢٢. والنسائي – كتاب الخيل – باب شؤم الخيل – رقم ٣٥٧. وابن ماجه – كتاب النكاح – باب ما يكون فيه من اليمن والشؤم – رقم ١٩٩٥، والمسند – مسند المكثرين :٤٣١٦، ٥٣١٨. بإسناد صحيح أيضاً.

(٤٦) وهو مذهب أحمد بن حنبل،وإسحاق بن راهويه. انظر: أ.د. نور الدين عتر – منهج النقد في علوم الحديث –ص٢٤٨.

دار كثير فيها عددنا، وكثير فيها أموالنا، فتحوّلنا إلى دار أخرى، فقلّ فيها عددنا، وقلّت فيها أموالنا. فقال رسول الله ﷺ ذروها ذميمة)(٤٧).

ثالثاً: رواية عائشة رضي الله عنها:

أخرج مسلم في صحيحه بسنده:(٤٨) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتِي قَالَ: (مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ) قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ لَا يَمْلِكُ دَمْعَهُ، فَلَوْ أَمَرْتَ غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا بِي إِلَّا كَرَاهِيَةُ أَنْ **يَتَشَاءَمَ** النَّاسُ بِأَوَّلِ مَنْ يَقُومُ فِي مَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: فَرَاجَعْتُهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ: (لِيُصَلِّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ، فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ).

رابعاً: رواية جابر رضي الله عنه:

أخرج مسلم بسنده(٤٩): (..عن أبي الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا يُخْبِرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ فَفِي الرَّبْعِ وَالْخَادِمِ وَالْفَرَسِ). وهو الشؤم، كما ورد مصرّحاً به في روايتي البخاري ومسلم الآتيتين.

وفي رواية النسائي بسنده(٥٠): (عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنْ يَكُ فِي شَيْءٍ فَفِي الرَّبْعَةِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ).

---

(٤٧) سنن أبي داود – كتاب الطب – باب الطيرة – رقم٣٩٢٠ (واللفظ له). وموطأ مالك – كتاب الاستئذان – باب ما يتقى من الشؤم – ٤٥٣/٢. وأخرجه أيضاً ابن قتيبة الدينوري بسنده – ص٧١.

(٤٨) صحيح مسلم – كتاب الصلاة – رقم ٦٣٣ورقم٦٣٢. وأحمد في المسند – بقية مسند الأنصار –رقم٢٤٧٢٧.

(٤٩) صحيح مسلم – كتاب السلام – رقم ٤١٢٣.

(٥٠) سنن النسائي – كتاب الخيل – رقم ٣٥١٤. وفي مسند أحمد (ففي الربع والفرس والمرأة) – المسند – باقي مسند المكثرين – رقم ١٤٠٤٧.

خامساً: رواية سهل بن سعد رضي الله عنه:

أخرج البخاري في صحيحه بسنده:[٥١] (عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ فَفِي الْفَرَسِ وَالْمَرْأَةِ وَالْمَسْكَنِ). أي الشؤم.

وفي رواية مسلم:[٥٢] (عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (إِنْ كَانَ فَفِي الْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ وَالْمَسْكَنِ) يَعْنِي الشُّؤْمَ.

سادساً: رواية مخمر بن معاوية رضي الله عنه:

أخرج ابن ماجه في سننه بسنده، عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ عَمِّهِ مِخْمَرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لَا شُؤْمَ، وَقَدْ يَكُونُ الْيُمْنُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي الْمَرْأَةِ، وَالْفَرَسِ، وَالدَّارِ)[٥٣].

سابعاً: رواية حكيم بن معاوية رضي الله عنه:

أخرج الترمذي[٥٤] عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لاشُؤْمَ، وَقَدْ يَكُونُ الْيُمْنُ فِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ.

هذه هي أهم الروايات الواردة في هذا الموضوع، وكل الروايات الأخرى لا تتعدّى – في جوهرها – ما ورد في هذه المتون، والله أعلم. ولكنها وردت بطرق متعددة عن سبعة من الصحابة رضوان الله عليهم. وبعد استعراض هذه الروايات يتبين لنا ما يلي:

---

(٥١) الجامع الصحيح – كتاب النكاح – رقم ٥٠٩٥. وأخرجه مالك في الموطأ – كتاب الجامع – رقم١٥٣٧.

(٥٢) صحيح مسلم – كتاب السلام – رقم ٤١٣١.

(٥٣) ابن ماجه – كتاب الأدب – رقم١٩٨٣. وأخرجه ايضاً الترمذي – كتاب الأدب – رقم ٢٧٥٠.

(٥٤) الترمذي – كتاب الأدب – رقم ٢٧٥٠. قال الترمذي : وفي الباب عن سهل بن سعد وعائشة وأنس. ولم أعثر على رواية أنس بن مالك رضي الله عنه.إلاّ أنه روي عن أنس حديث (في الباب) وهو ذروها فإنها ذميمة. وهذا متوافق مع قول الترمذي وفي الباب، كما هو معروف في منهجه.

آ - أن رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنه، هي فقط التي وردت على سبيل الحصر والتأكيد بلفظ: (إنما الشؤم في ثلاثة...) وهي في صحيحي البخاري ومسلم، وغيرهما من كتب الحديث، بألفاظ متقاربة.

ب - أما رواية جابر بن عبد الله، ورواية سهل بن سعد رضي الله عنهما، فقد وردتا بلفظ: (إن كان في شيء ففي الفرس... أي أنها سبقت بحرف (إن) التي تدل على الشك في وقوع الشرط.. والمعنى واضح.

ج - وأما رواية حكيم بن معاوية، ومخمر بن معاوية رضي الله عنهما، فنرى كيف أن الرسول ﷺ نفى أن يكون هناك شؤم!! وأثبت اليمن للمرأة والفرس والدار. ويبدو أن مؤدّى الروايتين واحد، ففي الرواية الأولى يروي حكيم عن عمه مخمر بن معاوية، عن رسول الله ﷺ، وفي الثانية يروي حكيم عن الرسول ﷺ مباشرة، وهذا في الغالب مرسل صحابي.

د - ورد في بعض روايات الحديث زيادات، أو إبدال كلمة مكان كلمة، وهي: من طريق جابر عند مسلم[٥٥] (إن كان في شيء ففي الربع والخادم والفرس). أي بذكر الخادم بدلاً من ذكر المرأة، وعند النسائي[٥٦]: (..ففي الربعة والمرأة والفرس). وأخرج ابن ماجه[٥٧] حديثاً معلقاً على الزهري بسنده عن أم سلمة رضي الله عنها، أنها كانت تعد هؤلاء الثلاثة، وتزيد معهنّ السيف.

هـ - لم أجد رواية واحدة في أي كتاب عن أبي هريرة، يقول فيها: الشؤم في ثلاثة، وكل ما ورد إنما كان مع ذكر نقد عائشة لأبي هريرة. وسيأتي بحث هذه المسألة في موضعها من هذا البحث إن شاء الله تعالى[٥٨].

---

(٥٥) صحيح مسلم - كتاب السلام - رقم ٤١٣٠.

(٥٦) سنن النسائي - كتاب الخيل - رقم٣٥١٤. والربع، والربعة : هي الدار بعينها، أو محلة القوم، وتجمع على رباع وربوع وأربع وأرباع. المحيط - مادة ربع.

(٥٧) سنن ابن ماجه - كتاب النكاح - رقم ١٩٨٥.

(٥٨) انظر: فقرة تفسير ذلك في ضوء الروايات وآراء العلماء التي سترد بعد قليل.

المبحث الرابع
دراسة أحاديث التفاؤل والتشاؤم

من خلال التأصيل العلمي لدرء التعارض عند علماء الحديث، وتحرير محل البحث.

كما سبق بيانه، فقد تعرض بعض العلماء لهذه المسألة في كتب مختلف الحديث، وكتب الشروح، ولكن ذلك كان بشكل جزئي أحياناً، ومفرّق أحياناً أخرى، فجاءت آراؤهم مفرقة مبعثرة في ثنايا تلك الكتب، ولم تدرس دراسة موضوعية متكاملة، وفق منهج علمي قائم على تأصيل هذا الموضوع. وسيكون منهجي في هذا المبحث، بطرق هذا الموضوع من خلال الأمور التالية:

- تحديد وجوه التعارض، والإشكال في ذلك، وتحرير محل البحث.
- منهج العلماء في حل مشكل ما يظن فيه التعارض.
- تصنيف آراء العلماء، وتقسيمها إلى مذاهب محددة محصورة.
- تفسير ذلك، في ضوء الروايات وآراء العلماء مع الترجيح.
- تحديد وجوه التعارض، والإشكال في ذلك، وتحرير محل البحث، ويمكن أن نجمل ذلك في عدد من النقاط، وهي على النحو التالي:

- هناك تعارض ظاهري بين النهي عن التطير، وإثبات الشؤم في بعض الأمور، علماً بأن أكثر علماء اللغة قد عدّوا الطيرة والشؤم بمعنى واحد – كما قال ابن حجر[٥٩] . بل إن ذلك قد ورد نصّاً في حديث واحد في بعض الروايات[٦٠]، عن عبد الله بن عمر: (...لا عدوى ولا طيرة، والشؤم في ثلاث: المرأة، والدار، والدابّة). والتساؤل هنا هو: كيف ينفي الرسول ﷺ شيئاً ويثبته في آن واحد؟!

- وقع تعارض – بحسب الظاهر – بين روايات عبد الله بن عمر من جهة،

(٥٩) ابن حجر – فتح الباري – ٦/٧٦، ١٠/٢٦٥.
(٦٠) البخاري – كتاب الطب – باب الطيرة –رقم٥٧٥٣.

وروايات حكيم بن معاوية وعمه مخمر بن معاوية من جهة أخرى. فروايات ابن عمر تثبت الشؤم في الثلاثة. في حين أن الروايات الأخرى تثبت اليمن لهذه الأشياء الثلاثة (لا شؤم، وقد يكون اليمن في ثلاثة: في المرأة، والدار، والفرس)..

- ورود نفي الشؤم، أو النهي عنه في بعض الروايات،وهي طرق ابن عمر وغيره، حيث جاءت بصيغة الحصر (إنما) وفي بعضها الآخر وردت بصيغة (إن يكن في شيء..) التي لا تدل على التحقق، بل الشك والاحتمال. وهذا مشكل من ناحية صدوره عن شخص النبي ﷺ.

- هذه الروايات تطرح تساؤلاً كبيراً، وهو: هل هذه الأحاديث تدل على جواز الشؤم في حياة المسلم، أم أن الحكم غير ذلك؟! وفي حال جوازه هل هو عام في كل الأحوال؟ أم هو خاص في هذه الأمور الثلاثة؟ ومتى؟!

منهج العلماء في حل مشكل ما يظن فيه التعارض:

وهذا علم قائم بذاته، أطلق عليه العلماء اسم (مختلف الحديث) أو مشكل الحديث. ويمكن تعريفه بـ: (ما تعارض ظاهره مع القواعد، فأوهم معنىً باطلاً، أو تعارض مع نص شرعي آخر)[٦١].

ويرى جمهور العلماء[٦٢]: أن درء هذا التعارض الظاهري يتمّ وفق الترتيب التالي: الجمع إن أمكن،فإن لم يمكن الجمع، يصار إلى معرفة الناسخ من المنسوخ. فإن لم يتعيّن الناسخ من المنسوخ، يصار إلى الترجيح. فإن كانا بمرتبة واحدة. يُتوقّف عن العمل بالحديثين.

وهو مذهب ابن قتيبة الدينوري كما يفهم من منهجه[٦٣]، حتى إنه نفى أن

---

(٦١) انظر: أ.د. نور الدين عتر – منهج النقد في علوم الحديث ص٣٣٧. وهذا هو تعريفه. وللعلماء تعريفات أخرى، أحسب أن هذا أجمعها. وانظر تعريف ابن حجر في شرح النخبة (تحقيق د.نور الدين عتر) –ص٦٧–٧٩.

(٦٢) انظر: نزهة النظر – ص٧٩.

(٦٣) انظر كتابه تأويل مختلف الحديث ص٥١ – موضوع ذكر أصحاب الحديث (قال: وقد يعيبهم الطاعنون بحملهم الضعيف وطلبهم الغرائب..... وقد جاءت أحاديث =

يكون ثمة تعارض بين حديثين. إلاّ أن مذهبه التوفيق بين المقبول والمردود، فهذا واضح من منهجه في كتبه، فقد أورد أحاديث واهية تعارض أحاديث مقبولة، قام بالتوفيق بينها. وهو بهذا يختلف عن ابن حجر الذي يرى أن التوفيق إنما يكون بين الحديثين المقبولين، حيث قال: (ثم المقبول، إن سلم من المعارضة، فهو المحكم. وإن عورض بمثله، فإن أمكن الجمع، فهو مختلف الحديث(٦٤)..) فهو من العوارض التي تطرأ على الحديث المقبول.

وهذا هو مذهب الشافعي، كما صرح به في مقدمة كتابه اختلاف الحديث(٦٥).

وأما مذهب الطحاوي في كتابه مشكل الآثار، فهو تقديم الترجيح على التوفيق بين الأحاديث. فقد أشار إلى هذا في المقدمة، فقال:(.. فإني نظرت في الآثار المروية عنه(بالأسانيد المقبولة، التي نقلها ذوو التثبّت فيها، والأمانة عليها، وحسن الأداء...(٦٦)) ثم إن هذا هو الملاحظ من منهجه في بحث هذه القضية، ومن ذلك ترجيح حديث عائشة، كما سيأتي.

وبهذا يتبين أن علماء الحديث، قد درجوا على قواعد محددة، وخطوات متدرّجة في درء التعارض الظاهري. فبان لنا أن الخطوة الأولى، عند الجمهور، هي محاولة التوفيق بين الحديثين اللذيْن يظن أن بينهما تعارضاً. في حين أن الطحاوي، يقدّم الترجيح على التوفيق، كما سبق بيانه، ولكن ذلك لا يعني تطابق الآراء في هذا التوفيق، فقد تختلف اجتهاداتهم، وتتعدد آراؤهم في تفسير الحديث وفهمه. ولكنها تدور حول هدف واحد، وهو إزالة اللبس أو الوهم الذي قد يتكوّن عند بعض الناس، بحيث يظن أن هناك تعارضاً، أو تناقضاً في النصوص.

= صحاح...) فقد أفصح عن منهجه هذا. وانظر أيضاً: بحث علم مختلف الحديث،أصوله وقواعده / د. شرف القضاة – مجلة دراسات – الجامعة الأردنية – مجلد٢٨/ عدد٢ / ٢٠٠١م. وانظر: كتاب مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين – منهج ابن قتيبة في كتابه – ص ٣٤٩– ٣٥٧.

(٦٤) نزهة النظر : ص٧٦. وقد اقتصرت هنا على نص المتن اختصاراً.

(٦٥) انظر: محمد بن إدريس الشافعي – اختلاف الحديث –٤٨٧ وما بعدها.

(٦٦) الطحاوي – مشكل الآثار – ١/ ٣.

تصنيف آراء العلماء، وتقسيمها إلى مذاهب محددة محصورة:

ذكر العلماء في كتب مختلف الحديث وكتب الشروح آراء متعددة مبعثرة، تتفق أحياناً، وتختلف أحياناً أخرى، وسأحاول - بإذن الله - ذكر هذه الآراء، وتصنيفها وفق مذاهب، وهي:

المذهب الأول: وهو مذهب ابن عبد البر، وطائفة(٦٧): قالوا: إن حديث الشؤم كان في أول الإسلام ثم نسخ بالآيات القرآنية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾(٦٨) ونسخ كذلك بالأحاديث، قال ابن عبد البر بعد ذلك: ويحتمل أن يكون الحديث منسوخاً.

وقد أجاب ابن حجر على هذا الرأي فقال(٦٩): (إن النسخ لا يثبت بالاحتمال، لاسيما مع إمكان الجمع، لا سيما وقد ورد في نفس هذا الخبر نفي التطير ثم إثباته في الأشياء المذكورة). وأيضاً لا يصلح النسخ في الأخبار.

المذهب الثاني: أن هذا الحديث محمول على الظاهر، وهو إثبات الشؤم ووجوده، ولكن يفهم ضمن ضوابط الشريعة ونصوصها الأخرى. وهو مذهب مالك، وطائفة منهم: ابن قتيبة والخطابي، والسبكي، والقاضي عياض.

وقد أشار إلى هذا المذهب الإمام النووي حيث قال(٧٠): (قال مالك وطائفة: هو على ظاهره، وأن الدار قد يجعل الله تعالى سكناها سبباً للضر أو الهلاك، وكذا اتخاذ المرأة المعينة، أو الفرس، أو الخادم، قد يحصل الهلاك عنده بقضاء الله تعالى. ومعناه قد يحصل الشؤم بهذه الثلاث).

---

(٦٧) ابن عبد البر - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - ٩/ ٢٩٠.

(٦٨) سورة الحديد - الآية ٢٢.

(٦٩) ابن حجر، فتح الباري - ٦/ ٧٧. وابن حجر - هنا - يشير إلى الراجح في مذهب العلماء في قضية التعارض الظاهري، وهو أنه لا يصار إلى النسخ إلاّ إذا تعذر الجمع بين الحديثين.

(٧٠) شرح صحيح مسلم - كتاب السلام - باب الطيرة - ١٤/ ١٨٣.

وأشار المازري - أيضاً - إلى كلام مالك، فقال[٧١]: (... فحمله مالك على ظاهره. والمعنى: أن قدر الله، ربما اتفق مع ما يكره عند سكنى الدار، فتصير في ذلك كالسبب، فتسامح في إضافة الشيء إليه اتساعاً).

وقد نقل عن ابن قتيبة الدينوري قوله[٧٢]: (.. وجهه أن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون، فنهاهم النبي ﷺ، وأعلمهم أن لا طيرة، فلمّا أبوا أن ينتهوا، بقيت الطيرة في هذه الأشياء). وهذا توجيه فيه نظر! فلا يتصور من الرسول ﷺ أن يقر الناس على معتقدهم الجاهلي، وهو الذي بعث ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

وقال الخطّابي[٧٣]: (.. معناه إبطال مذهبهم في الطيرة بالسوانح والبوارح من الطير والظبا ونحوها. إلاّ أنه يقول: إن كانت لأحدكم دار يكره سكناها، أو امرأة يكره صحبتها، أو فرس لا يعجبه ارتباطه فليفارقها، بأن ينتقل عن الدار، ويبيع الفرس).

وإلى هذا المعنى مال الطيبي حيث قال[٧٤]: (.. ويحتمل أن يكون الاستثناء على حقيقته، وتكون هذه الأشياء الثلاثة خارجة من حكم المستثنى منه. أي الشؤم ليس في شيء من الأشياء إلاّ في هذه الثلاثة).

ونقل ابن حجر عن السبكي قوله[٧٥]: (الشؤم مخصوص بمن تحصل منهم العداوة والفتنة، لا كما يفهمه بعض الناس من أن لذلك تأثيراً. وإنما يتفق موافقة قضاء وقدر، فتنفر النفس من ذلك، فمن وقع له ذلك فلا يضره أن يتركها).

---

(٧١) المازري - المعلم بفوائد مسلم - نقلا عن فتح الباري - كتاب الجهاد - باب شؤم الخيل ٦/٦٢.

(٧٢) نقلاً عن كتاب فتح الباري ٦/٧٦. ولم أجد هذا النص في كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، ولعله نقله من كتاب آخر له.

(٧٣) الخطابي - معالم السنن - ٤/٢٣٦.

(٧٤) شرف الدين الطيبي - الكاشف عن حقائق السنة - ٩/٢٩٨٤.

(٧٥) انظر: فتح الباري - ٩/١٧٣.

وقال القاضي عياض[٧٦]: (إن المراد هو قلة الموافقة وسوء الطباع، كما جاء في الحديث[٧٧]: (من سعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقوة ابن آدم ثلاثة، فمن سعادته: المرأة الصالحة، والمركب الصالح، والمسكن الواسع. ومن شقائه: المسكن السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء).

فقد فسّر التفاؤل، بما يحصل للإنسان من سعادة وراحة من صلاح هذه الأشياء. كما أن التشاؤم هو ما يكون من سوء المسكن والمرأة والمركب.

وهذا هو رأي المباركفوري أيضاً، حيث قال[٧٨]: .وأوّلت طائفة معنى الشؤم فقالت: ليس المراد المعنى الحقيقي، وإنما المراد من شؤم الدار ضيقها وسوء جوارها، ومن شؤم المرأة ألاّ تلد، ومن شؤم الفرس ألاّ يغزى عليها وغلاء ثمنها).

وبهذا نرى أن أصحاب هذا المذهب – وهم من كبار شرّاح الحديث – قد حملوا هذا الحديث على ظاهره، وأثبتوا وجود الشؤم في هذه الأمور، ولكنهم فسروا هذا الحديث، وأوّلوه على غير ما يتبادر إلى الذهن، بما يتناسب مع روح الشريعة.

وقد ردّ بعض العلماء هذا القول، ومنهم: القرطبي، وابن العربي، حيث قال[٧٩]: (ليس المراد ما كان يعتقده أهل الجاهلية، وإنما هو عبارة عن جري العادة فيها، وبأنه أكثر ما يتطير به الناس، فمن وقع في نفسه شيء فقد أبيح له تركه).

المذهب الثالث: وهو مذهب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهو

---

(٧٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم – ٧/١٥١. والحديث في مسند أحمد – مسند العشرة المبشرين بالجنة – ١٣٦٨.

(٧٧) أخرجه الحاكم – المستدرك –٢/ ١٤٤، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٧٨) المباركفوري – تحفة الأحوذي – ٨/١١٨.

(٧٩) ابن العربي – عارضة الأحوذي – ١٠/ ٢٦٤. وانظر بهذا المعنى كلام القرطبي – المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٥/٦٢٨

مذهب الطحاوي كذلك، فقد مال إلى ترجيح رواية عائشة، وقال: إنها حفظت ونسي غيرها، فروايتها أولى من رواية غيرها، لا سيما وقد ورد عن رسول الله ﷺ نفي الطيرة والشؤم[٨٠]. وهذا الرأي متوافق مع القاعدة التي التزم بها في درء التعارض بين الحديثين، كما سبق بيانه آنفاً.

وأما عائشة، فقد ورد عنها أنها أنكرت على أبي هريرة هذا الحديث، وقد ورد إنكار عائشة هذا في عدد من مصادر الحديث.[٨١] ولكن أوفاها وأتمّها، ما رواه ابن قتيبة الدينوري بسنده حيث قال[٨٢]:

(حدثني محمد بن يحيى القطيعي قال: أخبرنا عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن أبي حسان الأعرج: أن رجلين دخلا على عائشة رضي الله عنها فقالا: إن أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار. فطارت شفقاً، ثم قالت كذب - والذي أنزل القرآن على أبي القاسم - من حدث بهذا عن رسول الله ﷺ. إنما قال: كان أهل الجاهلية يقولون: إن الطيرة في الدابة والمرأة والدار. ثم قرأت ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[٨٣].

وأخرجه أبو داود الطيالسي[٨٤] عن عائشة أيضاً من طريق مكحول، وفيه: (أنها قالت: إن أبا هريرة لم يحفظ، دخل رسول الله ﷺ وهو يقول: قاتل الله اليهود يقولون: إنما الشؤم في ثلاثة فسمع آخر الحديث، ولم يسمع أوله). وقد اعتُرض على هاتين الروايتين، كما سيأتي[٨٥].

---

(٨٠) انظر الطحاوي - شرح مشكل الآثار - ٢/٢٥٢.

(٨١) أخرجه الحاكم في المستدرك - كتاب التفسير - ٢/٤٧٩. وصححه، ووافقه الذهبي. وأخرجه أيضاً: الطحاوي - مشكل الآثار - ٢/٢٥٢. وأخرجه - أيضاً مختصراً - الإمام أحمد - المسند - ٦/١٥٠. كلهم من طريق أبي حسان الأعرج.

(٨٢) ابن قتيبة - تأويل مختلف الحديث - ص٧١.

(٨٣) الحديد -٢٢. وسيأتي الكلام على هذه الرواية.

(٨٤) أبو داود الطيالسي - المسند - ١٥٣٧.

(٨٥) انظر الفقرات: أ، ب، ج، الآتية في فقرة تفسير الروايات وآراء العلماء.

المذهب الرابع: أن هذا الحديث، ينفي وجود الشؤم أصلاً، وهو رأي القاضي عياض وطائفة[٨٦]. وهو رأي للطحاوي أيضاً. وذلك لوروده من طرق بلفظ (إن كان الشؤم في شيء...) وقد ذكر القسطلاني عن القاضي عياض قوله: (..الحديث بهذه الشريطة يدل على أن الشؤم – أيضاً – منفي عنها..).

وأما الطحاوي، فبعد أن روى بسنده عن أبي سعيد الخدري عن الرسول ﷺ (لا عدوى ولا طيرة، وإن كان في شيء... الحديث) قال[٨٧]: (.. فلم يخبر أنها فيهن، وإنما قال: إن تكن في شيء ففيهنّ. أي لو كانت تكون في شيء، لكانت في هؤلاء الثلاثة، فليست في شيء).

وكأن أصحاب هذا الرأي، يؤوّلون الروايات الأخرى على ضوء هذه الرواية، بهذا المعنى. وهو فهم معقول، وتوجيه لطيف.

تفسير ذلك، في ضوء الروايات وآراء العلماء مع الترجيح:

بعد هذا العرض لاجتهادات العلماء ومذاهبهم وآرائهم، لابد أن أدلي بدلوي في هذه المسألة وتقديم تفسير، ربما يعين في توضيح هذه القضية، وبخاصة أني قمت بجمع الروايات الواردة في هذا المجال[٨٨]، فأقول وبالله التوفيق:

١ – من خلال استعراض هذه الأحاديث برواياتها المتعددة، يتبيّن لنا أن هذه الأحاديث منسجمة مع بعضها، وليس بينها أي تعارض حقيقي، بل هي مكملة لبعضها، وبعضها يفسر مقصد الرسول ﷺ، وبخاصة أن كثيراً منها كان جواباً منه على بعض التساؤلات التي تصدر من الصحابة رضوان الله عليهم، ولا شك أن النصوص يفسر بعضها بعضاً، كحديث أنس (حينما قال الرسول ﷺ: لا عدوى، ولا طيرة، وأحب الفأل. قالوا: وما الفأل؟ قال: كلمة

---

(٨٦) انظر: القسطلاني – إرشاد الساري – شرح كتاب الجهاد – باب ما يذكر من شؤم الفرس –٦/ ٣٥١.

(٨٧) الطحاوي – شرح معاني الآثار – ٤/ ٣١٤.

(٨٨) وذلك من خلال برامج الحاسوب المتوفرة، منها: المكتبة الألفية للسنة، وموسوعة الحديث الشريف (الكتب التسعة)

طيبة)[٨٩]. وحديث مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَم السُّلَمِيِّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كُنَّا نَأْتِي الْكُهَّانَ؟ قَالَ: (فَلَا تَأْتُوا الْكُهَّانَ) قَالَ: قُلْتُ: (كُنَّا نَتَطَيَّرُ) قَالَ: (ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ، فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ)[٩٠].

٢ - كان الرسول ﷺ ينوّع أساليب التعليم، ومن ذلك: التعليم من خلال الواقع، فهو من مناهج الرسول ﷺ في التربية والتوجيه، ومثال هذا كثير، ومن ذلك قوله: (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا. فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ)[٩١] فهذا هو بيان واقع الحال، وطبيعة الناس، وهو ما تميل إليه النفس، فهذه الأمور الأربعة هي نوازع فطرية في الإنسان.
ولكن التوجيه النبوي يقول له: حتى تحقق الحياة الزوجية قدراً من الاستقرار والسعادة، ينبغي أن يبنى قرار الزواج، على أساس متين، وهو الدين.. (فاظفر بذات الدين تربت يداك!!)
وهنا حديث (إنما الشؤم في ثلاثة) إنما يبين الرسول ﷺ واقع الناس، والفطرة البشرية، التي جبلت على هذا الأمر , فهذا الشعور هو أمر فطري في الإنسان، لا يملك أن يمنعه عن نفسه. ولكن إن وقع له ذلك، فلا ينبغي أن يكون له أثر في نفسه.
ولهذا جاء في بعض الروايات: (إن يكن الشؤم ففي). وفي بعضها: (لا شؤم وقد يكون اليمن في ثلاثة) وفي بعضها: (.فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل) وهذا يدل على المعنى الذي وقع في ذهن الصحابة رضوان الله عليهم. فمنهم: من روى بالنص، ومنهم: من روى بالمعنى الذي انقدح في ذهنه، وفهمه من نبيه، ومنهم من عبّر عن مقصد الرسول ﷺ وغايته من كلامه.. وهكذا[٩٢].

---

(٨٩) انظر: البخاري كتاب الطب - باب الطيرة - رقم٥٧٧٦.
(٩٠) أخرجه مسلم - الطب - باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان - ٥٧٧٤.
(٩١) صحيح البخاري - كتاب النكاح - رقم ٤٧٠٠، ومسلم - كتاب الرضاع - رقم ٢٦٦١.
(٩٢) وهذا كثير في الحديث النبوي، ولمزيد من التفصيل، ومعرفة أمثلة على ذلك، انظر : بحثي بعنوان (حكم رواية الحديث بالمعنى - مجلة دراسات/ الجامعة الأردنية١٩٨٦، وبحثنا : أسباب تعدد الروايات في متون الحديث النبوي - دراسات ١٩٩٣.

وإلى هذا المعنى يشير ابن قتيبة الدينوري في تعليقه على هذا الحديث[٩٣]:
(.. وهذا أيضاً مما جعل في غرائز الناس استحبابه والأنس به، كما جعل على ألسنتهم: من التحية بالسلام، والمد في الأمنية، والتبشير بالخير، وكما يقال: أنعم وأسلم، وأنعم صباحاً، وكما تقول الفرس: عِشْ ألف نيروز. والسامع لهذا يعلم انه لا يقدم ولا يؤخر، ولا يزيد ولا ينقص، ولكن جعل الله في الطباع محبة الخير، والارتياح للبشرى، والمنظر الأنيق، والوجه الحسن، والاسم الخفيف، وقد يمر الرجل بالروضة المنوِّرة فتسرّه، وهي لا تنفعه، وبالماء الصافي فيعجب به، وهو لا يشرب ولا يورده.).

٣ – في ضوء ما تقدم، يمكن أن نفهم معاني هذه الأحاديث، بهذه الروايات فهماً شاملاً، بحيث تكوّن لدينا صورة متكاملة لهذه القضية، تعكس مقصد الشارع(منها، وفهم الصحابة رضوان الله عليهم لها.

فالأحاديث الخمسة الأولى[٩٤] (لا طيرة، وخيرها الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم)، وقد فُسِّرت الطيرة بالتشاؤم[٩٥]. ويفهم من هذا أن الرسول ﷺ يقول للإنسان: لا يجوز لك أن تستسلم لأوهام التشاؤم إذا عرض لك ما يسوء، ولكن عليك بالتفاؤل. فإن التشاؤم يقعدك عن العمل والجد والاجتهاد في طلب الخير، بينما يدفعك التفاؤل إلى هذا كله.

وحينما يقول: إنما الشؤم في ثلاثة فهو يقول: هذا واقع الناس، وهذه الفطرة البشرية التي جبلت على هذا الأمر، فهو شعور فطري. ولكن إن وقع لك.

هذا الشعور فلا ينبغي أن يكون له أثر في نفسك، أو انعكاس سلبي على عملك، ولهذا جاء في إحدى الروايات (قَالَ: ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ فَلَا يَصُدَّنَّكُم) فهو إقرار بهذا الواقع الفطري.

وكأنه يقول: إن رأيت من المرأة ما تكره، وما يسوء. فلا تتشاءم، بحيث يصيبك

---

(٩٣) ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث – ص٧١.

(٩٤) انظر: المبحث الثاني من هذا البحث. مع مراعاة اختلاف الألفاظ اختلافاً يسيراً. وهذا لفظ البخاري.

(٩٥) ابن حجر – فتح الباري –٦/٧٦،١٠/٢٦٥.

الإحباط. فهذا هو دورك في التربية والتوجيه والوعظ. فإن عجزت عن التوجيه، فقد حضك الإسلام على الصبر والمداراة، فإن لم تستطع فقد جعل الله لك سبيلاً آخر والنصوص في هذا المجال كثيرة معروفة.

هذا هو هدي النبي ﷺ في التعامل مع المرأة. وليس من منهج الإسلام أبداً التشاؤم منها، بل إننا نفاخر الدنيا بالمكانة التي وضع الإسلام فيها المرأة. والنصوص الواردة في هذا المجال أيضاً كثيرة(٩٦).

وأما ما ورد عنه (في روايتي جابر، وسهل بن سعد رضي الله عنهما، (إن كان في شيء ففي الفرس والمرأة والمسكن أي الشؤم)(٩٧) فهو يشير إلى احتمال تكوّنه عند الإنسان، لتفاوت الناس في هذا. وليس المقصود احتمال أصل وجوده. فهو موجود وحاصل، ولكن هل يكون عندك أو لا يكون؟! ذلك أن هناك تفاوتاً بين إنسان وآخر في هذا. فكأنه يقول: إن كان الشؤم موجوداً في شيء (في نفسك) فإن أكثر ما يكون في هذه الأشياء الثلاثة.. فهو إخبار بإمكان وقوعه في النفس.

وأما رواية حكيم بن معاوية، وعمّه مخمر (لا شؤم، وقد يكون اليمن في الدار والمرأة والفرس). فهو نهيٌ منه عن التشاؤم في هذه الأشياء الثلاثة، التي غالباً ما يكون فيها التشاؤم، وهو في الوقت ذاته توجيه من الرسول ﷺ إلى كيفية التعامل مع هذه الأشياء، وكيف ينبغي أن نواجهها وننظر إليها، ففيها اليمن.

ومما يؤكد هذا المعنى: النصوص الكثيرة الواردة في المرأة – كما سبق بيانه – وفي فضل الخيل.. فالخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة(٩٨).

وهكذا، فإننا نلحظ أن فهم هذه الأحاديث، وشرحها مع بعضها بعضاً، يجعل الصورة عن هذه القضية متكاملة واضحة، فليس هناك تعارض حقيقي

---

(٩٦) ومن أتم الكتب المعاصرة التي جمعت النصوص الصحيحة في هذا المجال: كتاب تحرير المرأة في عصر الرسالة – عبد الحليم أبو شقة.

(٩٧) انظر تخريجه بطرقه، ص١٥ من هذا البحث.

(٩٨) البخاري – كتاب الجهاد – باب الخير معقود في نواصي الخيل. ومواضع أخرى. ومسلم – كتاب الإمارة – باب الخيل..

بينها، بل إن هذا الفهم بهذه الصورة المتكاملة، يؤكد أن هذه الأحاديث متفقة تماماً مع النصوص الكثيرة الواردة في حق المرأة وفضل الخيل.

٤ – الرواية التي اشتهرت بانتقاد عائشة رضي الله عنها لأبي هريرة(، والحكم عليه بالخطأ[٩٩]، هي رواية فيها نظر، وذلك للأمور التالية:

أ – ليس لهذه الرواية أي أصل في كتب الحديث المعروفة، فلم أجد رواية واحدة في أي كتاب من كتب السنة، أو الرجال، أو التاريخ، أو غيرها، يقول فيها المصنِّف حدثنا فلان عن فلان، وينتهي السند إلى أبي هريرة!! فكل ما هنالك هو نقل قصة إنكار عائشة على أبي هريرة! ولكن أين هي رواية أبي هريرة؟! فالحديث الوارد بلفظ – إنما الشؤم – هو من رواية ابن عمر.

ب) وقد اعتُرض على حديث مكحول هذا، فقد ضعّفه ابن حجر، وذلك بسبب انقطاعه، فمكحول لم يلقَ عائشة، وأضاف ابن حجر قوله: ولا معنى لإنكارها على أبي هريرة سيّما وقد وافق غيره من الصحابة.[١٠٠] وأما الحديث الأول، فقد ورد من طريق أبي حسان الأعرج[١٠١]. وهو وإن وثقه أكثر العلماء، إلاّ أنه خالف الثقات الأثبات في هذا الحديث، ولكن ليس هذا من باب الشذوذ، بل هو من قبيل التفرّد، لاختلاف

---

(٩٩) أخرجه الحاكم في المستدرك – كتاب التفسير – ٢/٤٧٩. وصححه، ووافقه الذهبي. وأخرجه أيضاً: الطحاوي – مشكل الآثار – ٢/٢٥٢. وأخرجه أيضاً مختصراً الإمام أحمد – المسند – ٦/١٥٠. كلهم من طريق أبي حسان الأعرج. ابن قتيبة – تأويل مختلف الحديث – ص٧١. أبو داود الطيالسي – المسند – ١٥٣٧. من طريق مكحول عن عائشة.

(١٠٠) ابن حجر – فتح الباري – ٦/٧٧.

(١٠١) هو أبو حسان الأعرج الأجرد البصري، اسمه مسلم بن عبدالله. روى عن علي وعائشة. وثقه ابن معين، وذكره العجلي في تاريخ الثقات وقال: بصري تابعي ثقة، ويقال: كان يرى رأي الخوارج. ووثقه ابن حبان كذلك. وقال عنه ابن حجر: صدوق رمي برأي الخوارج. انظر ترجمته في: العجلي – تاريخ الثقات –ص٤٩٥ – ترجمة رقم ١٩٣٠. وابن معين – التاريخ – ٢/٥٦٢. والمزي – تهذيب الكمال – ٣/ ١٥٩٨. وابن حجر – التهذيب – ١٢/٧٢. والتقريب – ٢/٤١١.

المخرج، ولذا فإن جمهور العلماء قد وفقوا بين حديثه والأحاديث الأخرى – كما سبق بيانه .. ولا مكان لتعقيب ابن الجوزي، على كلام ابن قتيبة الدينوري، وروايته لهذا الحديث، واستشهاده به،إذ يقول: (إن هذا رد لصريح خبرٍ رواتُه ثقات)(١٠٢). فما سلكه الجمهور، بالتوفيق بينها أولى، والله أعلم.

ج – ويضاف إلى هذا –أيضاً– أننا نرى أن بعض علماء النقد، قالوا عن أبي حسان الأعرج: إنه كان يقول برأي الخوارج، وهذا الحديث متعلق بأبي هريرة (، فهذه قضية أخرى تستدعي منّا الوقوف مليّاً عند هذه الرواية، فقد وردت بعض الأخبار المشتملة على تكذيب أبي هريرة)(١٠٣)، ولكن العلماء ردّوا ذلك، وبينوا حقيقة الأمر، بما يدفع الشك في أبي هريرة.

ثم إن قول عائشة (كذب أبو هريرة) لا يعني الكذب بمعناه المعروف، بل إن لغة قريش أن الكذب بمعنى الخطأ، فقولها: كذب من قال... إنما معناها: أخطأ. وليس ذلك من قبيل الطعن في أمانته وعدالته.

فخلاصة الأمر: أن في هذا الحديث ثلاث مشكلات:

أولاها: لم يعرف في كتب الحديث، ولا عند أهله حديث برواية أبي هريرة.

ثانيها: أن أبا حسان وإن خالف من هو أوثق منه، فهو من قبيل التفرد، ومع ذلك فقد وفق جمهور العلماء بين حديثه والأحاديث الأخرى – كما سبق بيانه ..

ثالثها: أن هذا الحديث من طريق أبي حسان – الذي كان يقول برأي

---

(١٠٢) انظر: العيني – عمدة القاري – ٢١/٢٧٣.

(١٠٣) انظر: تأويل مختلف الحديث – ابن قتيبة –ص١٠، ص١٩. والكذب –هنا– بمعنى الخطأ في لغة أهل الحجاز.

الخوارج - فقد يدخل ذلك من ضمن الدس والتزوير على حديث أبي هريرة.. والله أعلم.

وبهذا يترجح لنا أنّ هذه الروايات كلها يكمّل بعضها بعضاً - كما سبق أن بينته[١٠٤] - فليس بينها تعارض حقيقي، ولا بينها وبين المعروف في نظرة الإسلام إلى المرأة، أو إلى الخيل. وأن الشؤم الوارد هنا ليس بمعنى اعتقاد تأثيره في الأشياء، وهذا المعنى هو أقرب ما يكون إلى المذهب الثالث، وهو مذهب الجمهور[١٠٥] من العلماء، والله تعالى أعلم.

---

(١٠٤) انظر: ص٢٤ وما بعدها من هذا البحث.

(١٠٥) انظر: المذهب الثاني من فقرة تصنيف آراء العلماء وتقسيمها إلى مذاهب محددة.

المبحث الخامس

بيان حكم التشاؤم ﴿ وهو التطيّر﴾ وعلاقة ذلك بالاعتقاد

بعدما رأينا أن التشاؤم - وهو بمعنى التطير - هو شعور قد ينتاب الإنسان، بحيث - كما قال القرطبي[(١٠٦)] . إذا رأى شيئاً يكرهه يخاف أن لا يحصل له غرضه الذي قصده. أو - كما قال ابن الأثير[(١٠٧)] . يتوقع البلاء والشر.

وهذا الشعور بعدم الرضى، والحزن، والكره، والغضب.. ثم ما قد ينتج عنه من انقباض النفس، والشعور بالإحباط واليأس. وما ينعكس عن ذلك من أثر سلبي على كسب الإنسان، وعلى عمله، وعدم التوجه نحو فعل الخير، وانعدام الرغبة في ذلك، بل الرغبة في عدم الفعل، ثم أخيراً الاستسلام لحالة الإحباط واليأس. وهو الذي يمكن أن نطلق عليه وصف (التشاؤم، أو الشؤم، أو التطير).. بعد ذلك كله فلا بدّ من بيان حكم الإسلام في هذا الأمر، ولبيان ذلك، يمكن تقسيم هذه الظاهرة إلى درجات ثلاث:

الأولى: الإحساس بهذا الشعور، وحصول شيء من عدم الألفة، بل النفور وعدم الارتياح لهذا الشيء المكروه. وإلى هذا يشير ابن قتيبة الدينوري[(١٠٨)] (.وقد جعل الله في غرائز الناس وتركيبهم استثقال ما نالهم السوء فيه، وإن كان لا سبب لهم في ذلك..). إذن هو شعور فطري قد لا يملك الإنسان دفعه عن نفسه.

وهذا ما يشير إليه صريح الحديث (.. وما منّا إلاّ، ولكن يذهبه الله بالتوكل)[(١٠٩)]. وقوله ﷺ: (...ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا

---

(١٠٦) المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم - ٦٢٧/٥.
(١٠٧) النهاية في غريب الحديث والأثر - ٤٠٥/٣.
(١٠٨) ابن قتيبة ت تأويل مختلف الحديث - ص٧١.
(١٠٩) سبق تخريجه. وعلى فرض أن هذا من قول ابن مسعود رضي الله عنه - كما روى الترمذي - فيبقى المعنى قائماً.

يصدنّكم)[١١٠]. وقد يفهم ذلك -أيضاً- من عموم الحديث الصحيح[١١١] (الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ). فهذا الائتلاف والتناكر شيء فطري غريزي في الإنسان. فهذا المقدار الفطري لا يحاسب الإنسان عليه، لأنه لا يملكه.

وهذه الدرجة الفطرية، قد تصيب كل إنسان، فيشعر بمثل هذا الشعور، وليس له ذنب في حصول هذا الإحساس، إلاّ إذا تطوّر إلى درجة أعلى، ومرحلة أشد. فهذه الدرجة جائزة، يقول ابن حجر[١١٢]: (.. قوله: ولكن يذهبه الله بالتوكل، إشارة إلى أنّ من وقع له ذلك، فسلّم لله، ولم يعبأ بالطيرة، أنه لا يؤاخذ بما عرض له من ذلك).

الثانية: الاعتقاد بأن هذا الأمر له أثر فعلي، وأنه يضر أو ينفع. فهذا لا شك في أنه أمر محرّم، وهو شرك؛ لأنه يتنافى مع مبدأ التوكل على الله عز وجل، والاعتقاد بأنه هو الذي ينفع أو يضر. (قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضرّاً أو نفعاً..)[١١٣]. ويتنافى كذلك مع الاعتقاد بأن الرزق بيد الله، والآجال بيده، بل أسباب الحياة كلها بيده سبحانه.

يقول المباركفوري[١١٤]: (.. الطيرة شرك، أي لاعتقادهم أنّ الطيرة تجلب لهم نفعاً، أو تدفع عنهم ضرراً، فإذا عملوا بموجبها، فكأنهم أشركوا بالله تعالى، ويسمّى شركاً خفيّاً). وقال القاضي عياض[١١٥]: (.. وملاحظة الأسباب في الجملة شرك خفي).

ولا شك أن حكم هذه الدرجة التحريم، فهي درجة من درجات الشرك

---

(١١٠) صحيح مسلم - كتاب الطب - باب تحريم الكهان وإتيان الكهان -٥٧٧٤.
(١١١) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب الأرواح جنود مجنّدة.
(١١٢) فتح الباري - ٢١٢/١٠.
(١١٣) سورة الفتح - الآية ١١.
(١١٤) المباركفوري - تحفة الأحوذي - ١١٧/٥.
(١١٥) المرجع السابق نفسه. والمقصود بقوله: وملاحظة الأسباب.. أي الاعتقاد بأن هذه الأسباب مؤثرة بذاتها.

والعياذ بالله (الشرك الخفي) وعلى صاحبها أن يصحح معتقده من هذا، ويكون ذلك باتباع هدي المصطفى ﷺ وسلوك منهج الإسلام في علاج التشاؤم، كما سيأتي.

الثالثة: الاعتقاد – كالدرجة السابقة – بأن لهذا الأمر أثر فِعْلي ويضاف إليها: الفعل بمقتضاها، والعمل بهذا المعتقد. وهذه الدرجة قد توصل إلى الشرك على الحقيقة. وإلى هذا المعنى أشار الإمام النووي فقال(١١٦): (الطيرة شرك، أي اعتقاد أنها تنفع أو تضر، إذا عملوا بمقتضاها، معتقدين تأثيرها، فهو شرك؛ لأنهم جعلوها أثرا في الفعل والإيجاد). فقد رتب الحكم بالشرك على العمل بمقتضى هذا الاعتقاد.

---

(١١٦) انظر صحيح مسلم بشرح النووي – كتاب الطب – باب تحريم الكهانة.

المبحث السادس
علاج التشاؤم ومحاربة آثاره

بعد دراسة الأحاديث الواردة في هذا الأمر، وبيان حكم الإسلام فيمن يعتقد بتأثير التشاؤم في حقيقة الأشياء – وهو معتقد باطل وخطير كما رأينا- لابد من بيان منهج الإسلام في علاج هذه الظاهرة، وسأقتصر في هذا، على ما يفهم من الأحاديث النبوية السابق ذكرها. فقد اشتمل التوجيه النبوي على عدد من الوسائل الواجب اتخاذها في علاج التشاؤم ومحاربته، منها:

١ – استحضار الاعتقاد بالله سبحانه وتعالى، والإيمان الصادق بأنه هو الفعال لما يريد، وأن شيئاً في هذا الكون لا يجري إلا بأمر الله وإرادته، ومما يسهم في تعزيز هذا الاعتقاد، استذكار النصوص الواردة في هدي النبي ﷺ، وهي كثيرة، منها: (حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ) قَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.(١١٧)

٢ – التوكّل على الله سبحانه وتعالى: وهذه الصفة هي قضية عقيدة، فهي من المبادئ العظيمة التي حضّ عليها الإسلام، وأمر بها، إذ يجب على المسلم الاعتقاد بأن النافع أو الضار هو الله تعالى، ثم يتوكّل عليه سبحانه.
وبهذا يصرّح القرآن الكريم ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾(١١٨) وكذلك قوله تعالى: ﴿قُل

(١١٧) أخرجه الترمذي، واللفظ له – كتاب صفة القيامة –رقم٢٤٤٠. وأحمد في مسنده – مسند بني هاشم – رقم٢٥٣٧. قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
(١١٨) سورة الطلاق – الآية ٣.

أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[119] وكأنّ هاتين الآيتين نزلتا في هذا الموضوع، لشدّة اتصالهما بالمعنى المراد.

ومن هنا جاء في الحديث (.. ولكن يذهبه الله بالتوكل). إذن التوكّل هو علاج ناجع بنص القرآن والسنة، لكل ما قد يقع في نفس الإنسان من شعور بالتشاؤم، أو إحساس به، تجاه أي أمر من الأمور التي تعترض سبيل حياته.

٣ – حسن الظن بالله عز وجل: وهذا من قضايا الاعتقاد أيضاً، فالاعتقاد بأن الله عز وجل هو القادر على كل شيء، وبيده مقاليد السماوات والأرض، هو حسن ظنٍ بالله تعالى، ويكون بثقة المسلم ويقينه بأن الله عز وجلّ يقدّر له الخير في كلّ أموره.

يقول ابن حجر[120]: والفأل فيه حسن ظنٍ بالله تعالى، بأنه سيوفق الإنسان في عمله، والشؤم فيه سوء ظن بمآل الأمور ونتائجها، ففيه سوء ظن بالله تعالى، والفرق بينهما واضح.

وقد أمر الرسول ﷺ بحسن الظن، فكان ذلك من آخر ما أوصى به الرسول ﷺ (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – قبل مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ – يَقُولُ: (لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)[121].

كما عاب القرآن الكريم على من يسيء الظن بالله تعالى ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾[122] فمن يسيء الظن بالله تعالى، فجزاؤه من جنس عمله. ومن يحسنه فله جزاؤه (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي)[123].

---

(١١٩) سورة الزمر – الآية ٣٨.
(١٢٠) ابن حجر – فتح الباري – ١٠/٢١٤.
(١٢١) صحيح مسلم – كتاب الجنة وصفة نعيمها – باب – ٥١٢٤.
(١٢٢) سورة الفتح – الآية ٦.
(١٢٣) أخرجه البخاري – كتاب التوحيد ٦٩٥١. وهو جزء من حديث قدسي عند البخاري وغيره.

٤ - التفاؤل والاستبشار: التفاؤل هو فتح باب الأمل للإنسان، وفيه نوع من الاستبشار برحمة الله ونعمته وفضله. فالمؤمن يستبشر بأن الله ييسر له أمره، وقد وجّهنا الرسول ﷺ إلى هذا العلاج فقال[(١٢٤)]: (لَا طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ. قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ).

فالتفاؤل: هو الشعور بالرضا والفرح والسرور، ثم السعادة، وما ينعكس عنه من أثر إيجابي، على كسب الإنسان، وعلى عمله، وتوجهه نحو فعل الخير، وتحسين أساليب ذلك الفعل، وتطويره نحو الأفضل، وتكوّن الحافز عنده، بحيث يدفعه - أيضاً - إلى البحث عن وسائل عمل الخير، والرغبة في فعله، والاستزادة منه.

٥ - الالتجاء إلى الله عز وجل بالدعاء: وهو أمر لا يستغني عنه المؤمن في كل أحواله، وليس في الكرب وتوقع المكروه فقط، وهذا العلاج قد ورد - أيضاً - على لسان نبينا ﷺ (ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ)[(١٢٥)].

ولا يخفى أن الإنسان قد تمرّ به حالات من الكرب أو الابتلاء تعجز كل الوسائل الماديّة عن تقديم العون له، فإذا ما توجه إلى الله بدعاء صادق، وقلب مخلص فرج الله عنه، فقد أمره الله بالدعاء، ووعده بالاستجابة ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[(١٢٦)].

وهكذا، فإن الرسول ﷺ حينما نهى عن التشاؤم والتطير، وحرّم الاعتقاد بأن ذلك يدفع ضرراً، أو يجلب نفعاً، فإنه لم ينكر القدر الفطري من الشعور بهذا الشيء، ولكنه وجهنا إلى كيفية معالجة هذه الظاهرة، حتى لا تصبح مرضاً يؤدي إلى الإحباط واليأس، بل ينبغي أن تكون تفاؤلاً يوصل إلى الأمل والاستبشار بالخير، وهذا يكون دافعاً إلى العمل والجدّ والنشاط.

---

(١٢٤) صحيح البخاري - كتاب الطب - باب الطيرة -٥٧٥٤، وورد عند البخاري وغيره بألفاظ أخرى أيضاً.

(١٢٥) انظر تخريجه هامش ٤٢ من هذا البحث.

(١٢٦) سورة غافر -الآية ٦٠.

الخاتمــة

بعد هذا العرض لأطراف هذه المسألة، لا بد من بيان النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، بشكل مختصر، وهي:

١ - الراجح عند علماء اللغة والغريب، أن كلمة الطيرة، وكلمة الشؤم، بمعنى واحد، وعند بعضهم أن الفأل من أنواعها، عملاً بظاهر الحديث (لا طيرة، وخيرها الفأل) وأما التطير: فهو التشاؤم.

٢ - وردت أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم، يحضّ فيها على الفأل واليمن، بل كان عليه الصلاة والسلام يحب الفأل، ويتفاءل بالخير.

٣ - التشاؤم منهي عنه في الإسلام، والاعتقاد به يؤدي إلى الشرك الخفي، وأما العمل بهذا الاعتقاد فهو محرم، وقد يؤدي إلى الشرك والعياذ بالله تعالى.

٤ - أن منهج الإسلام حينما يحارب العادات الاجتماعية، ذات الآثار السلبية، التي تعود بالضرر على الفرد والمجتمع، فإنه يوجد البدائل ذات الآثار الإيجابية، التي تعود بالخير على الفرد والمجتمع.

٥ - أثبت هذا البحث أن عدداً من الصحابة رضوان الله عليهم، رووا أحاديث النهي عن التشاؤم، وأن رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنه فقط هي التي وردت بلفظ الحصر والتأكيد (إنما الشؤم في ثلاثة..).

٦ - بعد تحرير محل البحث، وبيان ما يظن أن فيه تعارضاً، فقد أثبت هذا البحث أن الأحاديث الواردة في التشاؤم، إنما هي مكملة لبعضها من حيث المعنى، وليس بينها أي تعارض حقيقي كما قد يتوهم.

٧ - أن هذه الأحاديث، بحسب المعنى الذي سبق بيانه، إنما هي منسجمة مع مكانة المرأة في الإسلام، ودورها المهم في الحياة الإسلامية، وأن ما ورد على لسان الرسول ﷺ إنما هو بيان للواقع الجاهلي، الذي ورد النهي عنه، والابتعاد عن ممارسته، أو الاعتقاد به.

٨ - جمع هذا البحث آراء العلماء، وصنّفها - لأول مرة - وفق مذاهب، حيث تبين أنهم مع اختلاف اجتهاداتهم، متفقون على أنه لا ينبغي فهم الحديث على أنه ينتقص من حق المرأة. مع تعدد آرائهم في تفسير ذلك.

٩ - أن جمهور العلماء ذهبوا إلى عدم حمل الحديث على ظاهره، ولكن ينبغي تأويل هذا الحديث، بما يتفق مع مباديء الإسلام، وأحكامه، وبخاصة في الأمر الثلاثة المذكورة في حديث ابن عمر رضي الله عنه.

١٠- أثبت هذا البحث أن الروايات الواردة في إنكار عائشة على أبي هريرة، هي روايات مردودة، وأن أحداً من أهل الحديث لم يذكر رواية منفصلة، عن أبي هريرة، وإنما الحديث - بهذا اللفظ - مروي عن ابن عمر رضي الله عنه.

١١- بيّن هذا البحث أن التشاؤم على ثلاث درجات.

الأولى: هي درجة فطرية، وهي مجرد الشعور بالكره للشيء وحصول الضيق من وجوده، وهذه لا تدخل ضمن المنهي عنه.

والثانية: محرمة، وهي الاعتقاد بتأثير ذلك في حياة الإنسان.

وأما الثالثة: فهي العمل بمقتضى هذا الاعتقاد، وهي اشد تحريماً.

١٢- استخلص هذا البحث من الأحاديث النبوية الواردة في هذا الموضوع منهج الإسلام في محاربة الظواهر السلبية، التي قد تنتشر في المجتمع، وإيجاد البدائل، وتقديم العلاج، ليبقى المجتمع سليم الاعتقاد قويم السلوك.

١٣- حدد هذا البحث أهم وسائل علاج هذا الداء،الذي قد لا يسلم منه إلاّ القليل، وبخاصة الدرجة الأولى منه، وأن هذا العلاج مبني على مباديء اعتقادية، كالتوكل على الله، وحسن الظن بالله تعالى، والتوجه إلى الله عز وجل بالدعاء.

١٤- وأخيراً، فقد بيّن هذا البحث أن هذه الظاهرة، هي مرض اجتماعي خطير، يعمل على انحراف العقيدة، وإيجاد اليأس والإحباط، وبالتالي العزوف عن العمل النافع، الذي يعود بالخير على الفرد وعلى المجتمع.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

قائمة المراجع

وهي مرتبة على حروف المعجم:

- اختلاف الحديث – محمد بن إدريس الشافعي ت٢٠٤ – المطبعة الأزهرية/مصر – بدون تاريخ.
- إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري – أحمد بن محمد القسطلاني – ضبط محمد الخالدي – دار الكتب العلمية – ط١ – ١٤١٦/١٩٦٦.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم – القاضي عياض اليحصبي – دار الوفاء – ط١ ١٤١٩/١٩٩٨.
- بذل المجهود في حل أبي داود – خليل أحمد السارنفوري – دار البيان لتراث – ط١ – ١٤٠٨/١٩٨٨.
- تأويل مختلف الحديث – ابن قتيبة الدينوري – دار الجيل – بيروت – ١٤١١/١٩٩١.
- تاريخ الثقات – العجلي، أحمد بن عبد الرحيم ط١ /٩٨٤. الكتب العلمية.
- التاريخ والعلل – يحيى بن معين – تحقيق أحمد نور سيف ت ط١.١٩٧٩ – جامعة الملك عبد العزيز – السعودية.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي – محمد بن عبد الرحمن المباركفوري – دار إحياء التراث – العربي – ط١ – ١٤١٨/١٩٩٨.
- تقريب التهذيب – ابن حجر العسقلاني – ط١/١٤٠٦ – دار الرشيد/ دمشق.
- التمهيد لما في موطأ مالك من المعاني والأسانيد – ابن عبد البر القرطبي – ١٤٠١/١٩٨١م
- تهذيب التهذيب – ابن حجر العسقلاني – ط١/١٣٢٥ – دائرة المعارف النظامية – حيدر آباد – الهند.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال – المزّي، يوسف الزكي – ط٢ /١٩٨٣ – مؤسسة الرسالة – بيروت.

- الجامع الصحيح – محمد بن إسماعيل البخاري – دار الفيحاء – ط٢ – ١٤١٩.
- سنن ابن ماجه – محمد بن يزيد بن ماجه القزويني – دار المعرفة – ط١.
- سنن أبي داود – سليمان بن الاشعث السجستاني، أبو داود – تحقيق عزت عبيد دعاس – ط١.
- سنن النسائي – أحمد بن شعيب النسائي – دار ابن حزم – بيروت ط١.
- شرح مشكل الآثار – أبو جعفر الطحاوي – تحقيق شعيب أرناؤوط – الرسالة – ط١ – ١٤١٥/ ١٩٩٤.
- عارضة الأحوذي شرح جامع الترمذي – أبو بكر بن العربي القاضي/ط١ بدون تاريخ – القاهرة.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري – أحمد بن أحمد العيني – ط١ – دار الفكر – بيروت.
- الفائق في غريب الحديث والأثر – الزمخشري، محمود بن عمر – ط٢ – دار المعرفة – بيروت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – دار الفيحاء – ط١ – ١٤١٨/١٩٩٧.
- القاموس المحيط – الفيروزآبادي – مجد الدين محمد بن يعقوب – ط٢/ ١٩٨٧ – مؤسسة الرسالة – بيروت.
- الكاشف عن حقائق السنة – شرف الدين الطيبي – ط١ – القاهرة.
- الكشاف – الزمخشري، محمد بن عمر – ط١ – دار المعرفة بيروت.
- لسان العرب – ابن منظور الأفريقي – دار إحياء التراث – ط٣ – ١٤١٣.
- المستدرك على الصحيحين – أبو عبد اله الحاكم النيسابوري – مكتبة النصر.
- مسند أبي داود الطيالسي – سليمان بن داود الطيالسي القرشي – دار المعرفة – بيروت – ط١.
- مسند أحمد – الإمام أحمد بن حنبل المكتب الإسلامي – بيروت/ لبنان ط٥، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م..

- مشكل الآثار – أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي – دائرة المعارف النظامية – حيدر آباد الدكن / الهند – ط١ /١٣٣٣هـ.
- معالم السنن – حمد الخطابي – ط١ – ١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م.
- معجم محيط المحيط – المعلّم بطرس البستاني – مكتبة لبنان/ بيروت.
- المعجم الوسيط – أخرجه إبراهيم مصطفى وآخرون – مجمع اللغة العربية/ القاهرة – ط٢ – ١٩٧٢/١٣٩٢.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم – أحمد بن عمر القرطبي – دار ابن كثير – ط١ – ١٩٦٦/١٤١٧.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – محي الدين بن شرف النووي – دار المعرفة – ط٥ – ١٩٩٨/١٤١٩.
- منهج النقد في علوم الحديث – أ. د. نور الدين عتر – دار الفكر/بيروت، دمشق – ط١/١٤١٨هـ /١٩٧٧م.
- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر – ابن حجر. تحقيق أ. د. نور الدين عتر – ط٣ – ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر – ابن الأثير – دار الفكر.